المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل

دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦٢٢١٤٢٥/٦
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

عوبديا

يعد سفر عوبديا أقصر سفر في الكتب المقدسة ويتضمن اثنين وعشرين عدداً. والاسم عوبديا يعني به في العبرية عبد أو خادم الرب.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : عقاب أدوم وأسباب ذلك (١ -١٤).

١- عنوان ١ أ.

٢- إنذار بسقوط أدوم (١ب -٤).

٣- سقوط أدوم (٥-٩).

٤- أسباب عقاب أدوم (١٠ -١٤).

ثانياً : يوم الرب (١٥- ٢١).

١- قضاء عقاب شامل (١٥ -١٦).

٢- عودة إسرائيل(١٧ -٢١).

يمثل سفر عوبديا وحدة واحدة، كما يرى علماء الكتاب إلا أن هناك تشابهاً واضحاً بين أجزاء السفر، ونبوة إرميا (قارن عوبديا ١-٤ مع إرميا ٤٩ :١٤ -١٦، عوبديا ٥-٦ مع إرميا ٤٩ :٩ -١٠، عوبديا ٨-٩ مع إرميا ٤٩ :٧، ٢٢) والسؤال الآن هو: أي منهم اعتمد على الآخر في الكتابة؟

يرجح بعض العلماء أن كليهما استعان بمصدر غير معروف. ومما لاشك فيه أن ما جاء في سفر عوبديا هو من كتابته. والمؤكد كما يرى آخرون أن هذا السفر جاء بجملته في صورة رؤيا من الرب. وواضح من مضمون السفر أن عوبديا كتب بعد نبوة إرميا. فحديث النبي عن سقوط أورشليم سوف يقع مستقبلاً فهو لم يحدث بعد (إرميا ٤٩ :١٢) بينما في عوبديا جاء عن أورشليم بأنها سقطت وتم الاستيلاء عليها (عدد١١)، كما يوجد أيضاً تشابه بين سفر عوبديا وسفر يوئيل(قارن عوبديا ١٠ مع يوئيل ٣ : ١٩).

ومن أمثلة التشابه أيضاً : ألقوا قرعة (عوبديا ١١ قارن يوئيل ٣ : ٣)، أعمالك ستقع على رأسك (عوبديا ١٥ قارن يوئيل ٣: ٤-٧)، لأن يوم الرب قريب (عوبديا ١٥ قارن يوئيل ١ :١٥، ٢ :١، ٣ :١٤)، وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة (عوبديا ١٧ قارن يوئيل ٣ : ١٧)، لأن الرب تكلم (عوبديا ١٨ قارن يوئيل ٣: ٨).

وطبقاً لما ورد في (يوئيل ٢ : ٣٢) عن صهيون وأورشليم يكون «أن كل من يدعو باسم الرب ينجو لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة كما قال الرب»، فالتعبير «كما قال الرب» يؤكد أنها مقتبسة من عوبديا عدد ١٧ وبهذا يكون عوبديا سابقاً ليوئيل.

الكاتب وزمن الكتابة

يرجح العلماء أن كاتب السفر هو عوبديا، وأنه كتبه في زمن ما قبل السبي. إلا أن الإشارات الواردة في الأعداد (١١-١٤) الخاصة بسقوط أورشليم بواسطة الكلدانيين عام ٥٨٧ ق.م، تعد تأكيداً على أن السفر كتب زمن ما بعد

السبي، بعد عودة اليهود إلى يهوذا وبنيامين(١٧-٢١) أيام نحميا في منتصف القرن الخامس ق.م. ولا يُعرف شيء عن عوبديا أو والده. ومن غير المعقول أو المقبول، أن ننسب عوبديا إلى الشخصية التي ظهرت أيام أخآب (١مل ١٨:٣-١٦)، حسبما ورد في التلمود البابلي. ويتساءل البعض مثل اويسترلي وربسون Oecsterley and Robinson عما إذ كان هناك شخص بالاسم عوبديا. وربما يعني الاسم مجموعة أفراد غير معروفين قاموا بكتابة السفر، ويرى فايفر أن الأعداد من (١-١٥) يرجع تاريخ كتابتها إلى عام ٤٦٠ ق.م تقريباً وباقي الأعداد من (١٦- ٢١) ترجع إلى عام ٤٠٠ ق.م، أما أ. ويزر A.Weiser فلا يرى سببا معقولا لإنكار حقيقة أن عوبديا هو كاتب السفر بجملته.

الخلفية التاريخية للسفر

سفر عوبديا من ضمن مجموعة أسفار لم ترد عنها أية إشارات في العهد الجديد وهذه الأسفار هي: عزرا - نحميا - أستير - نشيد الأنشاد - عوبديا - الجامعة. وأول ما ورد عن أدوم في العهد القديم جاء في (تكوين ٢٥: ٣٠) وآخر إشارة وردت عنه جاءت في (ملاخي ١: ٢-٥) وبين الإشارتين يوجد سجل حافل من المآسي في العلاقة بين إسرائيل وأدوم.

والكلمة: «أدوم» تعني أحمر. وقد وردت بهذا المعنى في سفر التكوين. وقد أطلق الاسم على عيسو، لأنه خرج من بطن أمه أحمر اللون (تك ٢٥: ٢٥). وربما سميت أرض أدوم بهذا الاسم لكثرة التلال الرملية الحمراء فيها. وأرض الأدوميين هذه تقع إلى الجنوب والشرق من البحر الميت وتمتد حتى رأس خليج العقبة، وهي يطلق عليها أيضاً «جبل سعير» (تك ٣٢ : ٣). وهي غنية بالموارد الطبيعية.

ورغم أن علاقة إسرائيل بآدوم لم تكن علاقة ودية باستمرار، إلا أنه حدث في وقت من الزمان أن تحالف أدوم مع يهوذا وإسرائيل ضد المؤابيين (٢ مل ٣:٩) وفي (تث ٢ : ٤-٨) قيل للإسرائيليين أن لا يحاربوا الأدوميين أخوتهم وجاء في (تث ٢٣ : ٧) لا تكره أدوميا لأنه أخوك، وتعد هذه الكلمات بانية نحو طريق الكمال لأنه من وقت المشاجرة أو النزاع بين يعقوب وعيسو إلى نهاية تاريخ العهد القديم استمر العداء بينهما دون توقف- فقد حارب شاول ضد أدوم (١صم ١٤ :٤٧) وهزم داود أدوم... (٢صم ٨ : ١٤) ويوآش قتل أدوم (٢مل ١٤:٧) وعندما هدد نبوخذ نصر أورشليم باقتحامها، أسرعت يهوذا إلى أدوم طلباً للعون. لجأ كثيرون إلى أدوم طلباً للنجاة (عوبديا ١٤) لكن أدوم رفض ذلك ولم يصغ ليهوذا، مما ولد غضباً شديداً في قلب يهوذا ولم يغفرها لأدوم- وقد وردت إشارات عديدة من الأسفار المقدسة تصف البغضة التي كانت بين أدوم ويهوذا وإسرائيل (مزمور ١٣٧ :٧ ، مراثي ٤:٢١، إش ٣٤:٥-٦، حز ٢٥:١٢- ١٤، ٣٥:١- ١٥، يو ٣: ١٩، ملاخي ١:٣-٥).

وتركزت نشاطات أدوم في مناطق غرب الصحراء العربية الشرقية، والتي سيطر عليها في القرن السابع ق.م خلال زمن أشور بانيبال[1]. وعندما سقطت أورشليم عام ٥٨٧ ق.م استقر الأدميون وجعلوا عاصمتهم في تخوم يهوذا فرحين بسقوطها (مراثي ٤ :٢١) وعملوا على الانتقام من يهوذا في محنتهم (حز ٢٥:١٢) وعاون أدوم البابليين في هدم أورشليم واحتلوا بعض أراضيها (حز ٣٥:١-١٠).

أخيراً عرفوا باسم شعب آدوم مقاطعة أدومية (إش ٣٤ : ٥ ، ٦ ، حز ٣٥ : ١٥ ، ٣٦ : ٥ ، مر ٣ :٨) وحتى ذلك الوقت كان الأدميون تحت ضغوط القبائل العربية ، وقد عرف ذلك من الحفريات المكتشفة في تل الخليفة وعصيون جابر، ففي حين كا الحاكم أدوميا والأسماء أدومية إلى عام ٦٠٠ ق.م ، إلا أنها أصبحت عربية[2] بعد قرن

(1) Ancient Near Eastern Texts, pp.297-299
(2) W.F.Albright(ed.), O.T. Commentary, P.167

من الزمان. ولكن في زمن المكابيين ، طاردهم يهوذا المكابي من جنوب يهوذا عام ١٦٤ ق.م. تقريباً، وهزمهم يوحنا هركانس عام ١٠٩ ق.م. تقريباً وأجبرهم على التهود.

مضمون السفر ورسالته

ربما يتساءل الدارس لسفر عوبديا عن أهمية أو ضرورة وجوده في الكتاب المقدس. فهو يضم اثنين وعشرين آية خلت من تعبير المحبة أو النعمة. إلا أن السفر له مكانته الهامة في الكتاب المقدس. إنه يصف حالة شعب الله وهو يجتاز اختباراً مؤلماً وقاسياً من جيوش بابل، وفي نفس الوقت لا يجد إلا العداء والجفاء من شعب مجاور له، وهو أدوم الذي كان بالأمس أخاً له في الجسد. والحقيقة، عندما لا يفهم سفر معين في الكتاب المقدس فالمشكلة ليست كامنة في السفر، بل في الإنسان ذاته. ولنا في ذلك مثال ورد في (مت ٥ :٤٣) «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك»، وهل الله يوصي بالبغضة؟ وربما يعتقد الإنسان أن هذا حدث في العهد القديم، غير أنه لم يرد شيء من ذلك على الإطلاق في وصايا الله (قارن لاويين ١٩ : ١٨) . «تحب قريبك كنفسك». وربما كان التعبير «تبغض عدوك» كما يرى الشراح إضافة من شيوخ اليهود ورؤسائهم اضافوه في تقليدهم (راجع وصف الرب لهم في مت ٢٣). بل إن وصية الرب لشعبه في التوراه أن لا يكره أدوميا ..ولا يكره مصرياً.. (قارن تث ٢٣ :٧) ويوصيهم الرب قائلاً : «إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم » الغريب النازل عندكم « وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر» (لا ١٩ : ٣٣ -٣٤).

وسفر عوبديا هو نبوة ضد أدوم ، وما اقترفه من إثم ضد يهوذا. فهي لم تعمل على عون يهوذا في محنتها، بل أبغضتها ورفضتها كل الرفض. وعندما يتضمن السفر عقاباً لأدوم على فعلها هذا، فإنه بمثابة إنذار لكل من يبغض أخاه ولا يعمل بوصايا الرب إلهه.

والمؤلم لشعب يهوذا أن يجد جفاءً من أدوم. واستمرت العداوة بين أدوم وإسرائيل ما يقرب من ألفي عام. وقد بدأت هذه العداوة القاسية بين الأخوين يعقوب وعيسو (أدوم)، باغتصاب يعقوب للبركة من أبيه إسحق، التي كان يتوق إليها عيسو لأنه أكبر. غير أنه استهان بالبكورية ورفضها، وفي لغة اليأس قال أنا ماض إلى الموت فلماذا لي بكورية (تك ٢٥ : ٣٤).

وربما تصالح الأخوان بعد ذلك لكن لم يدم هذا الصلح بين نسليهما بعد أن انفصل الواحد عن الآخر في المنطقة القريبة من فنوئيل (تك ٣٣) (قارن تكوين ٣٦ : ١، ٦) وهكذا توالت الصراعات بين الشعبين، بل بين إسرائيل وبقية الشعوب الوثنية الأخرى المجاورة. فإسرائيل هو شعب الرب الذي منحه الرب الشريعة ليتدرب على حمل هذه الشريعة، ويجاهر بها أمام بقية الشعوب. وصار العبرانيون أداة الرب لنشر الحق الإلهي والتعليم بأحكامه. كما صاروا رمزاً لمخافة الرب يهوه. والشعوب الوثنية رمزاً لحقيقة الشر، ولا توجد علاقة أو اتحاد بينهما. وقعت حروب كثيرة بين الخير والشر، بين النور والظلام، بين الحياة والموت. وقد وضح التباين من البدء بين الأخوين يعقوب وعيسو. وهذا يعقوب القريب من قلب والديه- وخاصة أمه رفقة- والملتزم بقواعد البيت. وعيسو الشاب المتمرد الساخط، والخامل والكسول، وهذا ما تمثل في رفضه البكورية واحتقاره لها حتى يصير طليقاً غير ملتزم بقواعد الأسرة بوصفه البكر الحامل للمسئولية بلا إيمان في المستقبل «أنا ماض إلى الموت» (تك ٣٢:٢٥، ٣٤ب). ولا طاقة له على الرؤيا ولا يرى غير ما هو محسوس ومادي لإشباع شهواته (عب ١٢:١٦، ١٧).

وتتضح قيمة السفر من تعاليمه الأخلاقية والتنبير على أهمية أن يكون الإنسان متضعا، بل ومنكسراً أمام الرب إلهه لا يتفاخر ولا ينتفخ، ودوداً للآخرين لئلا يسقط في شروره الكثيرة ولبس من يقيمه.

وهنا ينادي عوبديا في صرخة مدوية: «أيها الساكن في محاجئ الصخر رفعة مقعدة القائل في قلبه من يحدرني

إلى الأرض» فيأتيه الجواب: إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب (عدد ٣) وهنا ينبر السفر على البر الاجتماعي الواجب بين الإنسان وأخيه الإنسان بين شعب وشعب.

من ثلاثة آلاف سنة كان في بابل هيكل واعتقد الناس كما يقول كالكينز R.Calkins أنه سيبقى إلى الأبد، واليوم تساوى مع الرمال.

لهذا سواء طال الزمن أم قصر فإن الرب سيقضي على الشرور في العالم، والتاريخ يؤكد ذلك. والزائر لجبل سعير، لا يجد غير الهياكل المحطمة. فماذا بقى لأدوم اليوم.

وربما يلمس الدارس، صراع النبي عوبديا، بين ابتهاجه لخلاص الرب الأكيد ليهوذا، بعد كل الآلام والتجارب القاسية التي اجتازت فيها كشعب اختاره الرب وبين ارتياحه النفسي لعقاب أدوم الشعب الخائن والقاسي الذي تخلى عن الوقوف بجانب يهوذا ليخفف من آلامه (قارن عدد ١٤) . لقد عانت إسرائيل كثيراً وقاست آلاماً مريرة خلال دخولها كنعان والاستيطان في أرض الموعد، وخلال فترة السبي. لكن الرب وعد بالنصرة للبقية الباقية المتطهرة. وعقاب أدوم ربما لا يكون لها وحدها، بل يشمل جميع الشعوب التي ستحاكم في يوم الرب. فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم (عدد ١٥) في اليوم الأخير (في المحاكمة الأخيرة).

وعندما يتحدث عوبديا عن أدوم ، فهو لا يتحدث عنه كشعب بعينه بل يتحدث عنه كرمز للشر والنجاسة. وحينما يشعر الإنسان ببغضة بل يحمل كراهية للخطية بكل شرورها ، يبقى له الرجاء في وعد الرب بالخلاص. إن خلاص الإنسان الواثق في إلهه لأكيد ويقيني: «وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة» (عدد ١٧) وقد كتب ستيفنسون Stephenson يقول إن فرحتنا العظمى ليست في عدم فشلنا ، بل تكمن في قيامنا كل مرة نسقط فيها. وبقدر ما نتضع ولا نتحدث كثيراً عن فضائلنا المتعددة لدى الآخرين، فنحن على الطريق السوي السليم، طريق البر والصلاح.

إن كبرياء أدوم وتصلفه هو طريق انحداره ودماره، وعوبديا يثق في أن هذا اليوم لابد آت. وربما كان سكان أدوم كثيرين، لكن الرب هو مصدر القوة والجبروت. وربما بنوا لأنفسهم أعشاشاً بين النجوم، لكن يوجد من صنع النجوم .. الرب اسمه. أو ربما ارتفعوا عليا كالنسور. لكن الرب سيحدرهم سريعاً إلى القاع. إن لغة الإيمان الواثق في انتصار الرب على أدوم، عبر عنها النبي الإنجيلي إشعياء قبل عوبديا بزمن طويل ربما يصل إلى بضعة قرون في أسلوب حوار رائع وبديع.

س- من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر، من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟

جـ- أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص.

س- ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة؟

جـ- قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد- فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي، فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي، لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت.

فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد، فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدني. فدست شعوباً بغضبي وأسكرتهم بغيظي وأجريت على الأرض عصيرهم (إش ٦٣ : ١-٦).

وعن أحبائه وحافظي عهده وشرائعه وأحكامه يتحدث النبي قائلاً: في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم، بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة (إش ٦٣ : ٩).

إن تمسك عوبديا النبي بقوميته، وديانته كشخص يهودي لهو أمر طبيعي كما يرى جون طمسن. غير أنه أغفل بذلك الإشارات العديدة مثل تلك الواردة في إشعياء (٤٢ : ١ ، ٤ ، ٦) التي تتحدث عن تجديد الشعوب الأخرى (الأمم) بواسطة مختاري الرب وإرساليته لهم[1]، ويرى عوبديا أن جبل صهيون يكون مقدساً« (عدد ١٧) محفوظ للذين ينجون من الدينونة. أنه أورشليم المذكورة في سفر الرؤيا (٢: ٧، ٢٧). ويكون الملك للرب (عدد ٢١ب) ويعلن الصوت مدوياً :«قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين» (رؤيا ١١ :١٥).

إن الإنسان المؤمن الذي يواجه شروراً وضيقات في حياته يجد رسالة بانية ومشجعة في سفر عوبديا، فعندما يعتريه روح الضعف والفشل لسخرية الأشرار به، يستطيع أن يرفع بصره إلى الأعالي، فيسمع قول الله لهؤلاء الأشرار: «تكبر قلبك قد خدعك أيها الساكن... في محاجئ الصخر رفعة مقعده، أيها الساكن في شقوق الصخر والمقيم في القمم العالية، القائل في قلبه من يحدرني إلى الأرض» (من يقوى عليّ). ويأتيه الجواب: «إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب» (عدد ٤) . عندئذ يتحقق المرء أن فوق العالي عالياً والأعلى فوقهما يلاحظ. وقبل السقوط تشامخ الروح.

(1) J.A. Thompson, IB,Vol.6, pp.858-859